

أعمال المرأة التطوعية في العصر العباسي الأول والثاني (132-334هـ/749-946م)

مها أسعد عبد الحميد طه الراوي *

ملخص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن ظاهرة التطوع التي تعني تبرع المرء من ذات نفسه من دون أمر أو إجبار لخدمة الإنسانية، وقد كشف البحث عن جوانب العمل التطوعي الدعوي والثقافي والسياسي والإداري والاجتماعي والاقتصادي الذي انبثرت به المرأة في مجتمع العصر العباسي الأول والثاني، إذ كان للمرأة مكانة جليلة في ذلك، فقد أضافت على أعمالها الأسرية أعمالاً تطوعية متنوعة أخرى خارج منزلها كانت تؤديها بالمجان أو لقاء مبالغ زهيدة، وذلك بفضل اتساع مساحة الحرية الممنوحة للمرأة في العمل خارج منزلها والذي كان نتيجة إلقاء المجتمع العباسي بمجتمعات وحضارات أخرى غير عربية تشجع المرأة على العمل بصنوفه المتعددة داخل منزلها وخارجه، فبرزت أسماء كبيرة في ذلك أسهمت مع أخيها الرجل في تذليل الصعوبات المادية أو المشكلات الاقتصادية من أجل وضع الأساس الفاعل لصالح الاستقرار والعمران وبناء الحضارة العربية الإسلامية وازدهارها.

الكلمات الدالة: التطوع، الأعمال التطوعية.

المقدمة

كانت المرأة في صدر الإسلام مثالية في أخلاقها وتواضعها وشجاعتها وخدمتها للرجل والأبناء، وتتسم بخصال حميدة في العادات والتقاليد، تقف جنباً إلى جنب مع أهلها وإخوانها وزوجها وقبيلتها، توازهم وتشاركهم الأفراح والأحزان والعمل والقتال في سبيل نشر الإسلام، تجهز الطعام للمقاتلين وتزودهم من معنوياتهم بالأهازيج الحماسية وتداوي جراحهم، فضلاً عما اتسمت به من الشجاعة والثقة بالنفس والإيمان بالله تعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد شاركت المرأة الرجل في بناء الحضارة العربية الإسلامية فظهرت منهن الأدبيات والطبيبات والممرضات والقابلات والغزالات وما إلى ذلك، غير ما يعتقد البعض أن المرأة للبيت فحسب، فعلى الرغم مما لهذه المنزلة من مكانة مقدسة ورفيعة، فإن للمرأة العربية والمسلمة صوراً حضارية مشرقة أخرى، إذ برزت منهن الكثيرات ذوات الأنشطة الحضارية التطوعية عكسن تقديم الخدمات الإنسانية في الحياة الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها سعياً للبناء والعمران.

أهمية البحث: استشراف ماضي النساء العتيد في حضارتنا العربية الإسلامية الخالدة؛ ليكون درساً مضيئاً للمرأة في وقتنا الحاضر في كيفية خدمه أسرتها ومجتمعها ورسم المستقبل الزاهر لهذه الأمة، في كل حين وظرف يمر به مجتمعها ولا سيما بالأحوال والظروف الصعبة، بالمجان أو لقاء أجر زهيد.

مشكلة البحث: التعريف بأن شخصية المرأة وما تسهم به من أعمال تطوعية متنوعة كفيل في تذليل الصعوبات والمشكلات وتخطيط أسس النجاح والسير بخطوات حثيثة لتحقيقه، حتى تصل المرأة مع أخيها الرجل بأسرتها ومجتمعها إلى الرقي والازدهار.

حدود الدراسة:

أ- الحد الزمني: تمتد هذه الدراسة لتغطي العصرين العباسيين الأول والثاني (132-334هـ/749-946م)

ب- الحد المكان: قامت الباحثة بدراسة الأعمال التطوعية للمرأة في الأرض العربية الإسلامية في العراق وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية ومصر وغير ذلك.

منهج الدراسة: اتبعت الباحثة منهج البحث التاريخي في الدراسة والتقصي، وجمعت بين الروايات المتعددة للموضوع الواحد، وقامت بتحليلها، وأعدت قائمة في التعريف ببعض الشخصيات والأماكن والمصطلحات التي وردت خلال البحث ولها علاقة مباشرة بموضوعه، وتم تسلسلها على وفق الحروف الهجائية.

بعض الدراسات السابقة: ومن الدراسات السابقة التي اهتمت بشؤون المرأة في العصر العباسي الثالث والرابع رسالة طالبة الماجستير (العزايزة، وجدان حسن) والموسومة: المرأة في العصر العباسي (447-656هـ/1055-1258م).

* قسم التاريخ، كلية التربية للبنات، الجامعة العراقية. تاريخ استلام البحث 2019/4/17، وتاريخ قبوله 2019/12/24.

التمهيد: أعمال المرأة التطوعية قبل العصر العباسي:

إنَّ المتأمل لمضامير كتب التاريخ يصل إلى حقيقة شاخصة تتمثل في تطوُّع المرأة إلى جانب الرجل منذ فجر التاريخ وحتى عصرنا الحاضر، وقد تنوعت آثارها بين وضوح، كالذي نجده في عصر الدولة العباسية، وعدم الوضوح كالذي نجده في عصر الدولة الأموية، على وفق مساحة الحرية الممنوحة للمرأة للعمل والبناء بين عصر وآخر فضلاً عن تأثير النقاء حضارات مختلفة لمجتمعاتنا مع المجتمعات غير العربية، كالذي انتشر إبان العصر العباسي، ومن هنا تأتي أهمية الوقوف عند ذلك لتعزيز مكانة المرأة وأثرها التاريخي في العمل والبناء تطوعاً، ومن ذلك ما جاء في موضوعة (الإجارة)، وهي كالجوء السياسي في العصر الحاضر (الكياي، د.ت. ج 5، ص 467)، وتقف أم هانئ بنت أبي طالب أخت سيدنا الامام علي (عليه السلام) نموذجاً لذلك حين أوت رجلًا من المشركين في فتح مكة سنة (8هـ/629م) فأبى سيدنا علي (عليه السلام) إلا أن يقتله، فأُسْرعت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت يا رسول الله: زعم ابن أبي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجل - وسَمَّ الرجل - فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): ((قد أجرتنا مَنْ أجرت يا أم هانئ)) (البخاري، صحيح، 1994م، ج1، ص141؛ مسلم، صحيح، د.ت، ج1، ص498؛ الطبراني، المعجم، 1983م، ص418). وأمر الإجارة قَدِّمته أيضاً السيدة زينب بنت رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، لزوجها أبا العاص بن الربيع (ابن الأثير، أسد الغابة، 1996م، 277/4) وكان مشركاً، فما أن لحقها إلى المدينة المنورة وطلب منها الأمان من أبيها، عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان ذلك عند صلاة الفجر، إلّا وقالت: أيها الناس، أنا زينب، وقد أجزتُ أبا العاص، فلما فرغ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الصلاة، قال: ((إني لم أعلم بهذا حتى سمعته الآن، وإنه يجبر على المسلمين أذنهم)) (ابن الضحاك الشيباني، الأحاد، 1991م، 398/1؛ الطبراني، 425/22؛ شاعر، أمهات، 2004م، ص28-29).

وحدثنا التاريخ عن نساء الأنصار، إذ ((لم يمنعنَّ الحياء من التفقه في الدين)) (البخاري، ج1، ص60؛ ابن حنبل، مسند، د.ت. ج6، ص147) اقتداءً بقوله تعالى: ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) (سورة المجادلة، الآية 11)، وقوله (صلى الله عليه وسلم): ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) (ابن ماجه، سنن، د.ت، ج11، ص81)، وكانت أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) نموذجاً لمن تطوَّع لتعليم مبادئ الإسلام وقيمه فقد كان لها أثر علمي وفكري إبان حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكانت تسأل الرسول وتناقشه في الأمور التي تخفى عليها، فضلاً عن علمها الكبير بأسباب النزول، واستمرت بتعليم الناس أمور دينهم مدة (48) سنة بعد وفاته (عليه أفضل الصلاة والسلام)، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: ((خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء)) (القرافي، الذخيرة، 1994م، ج3، ص250؛ ابن كثير، البداية، 1987م، ج8، ص92)، وقال عنها ابن أخيها الراوية (عروة بن الزبير) ((ما رأيت أعلم بالحلال والحرام والعلم والشعر والطب من عائشة)) (الحاكم النيسابوري، المستدرک، 1990، ج4، ص12؛ السيوطي، الدر، 2003م، ج6، ص169) إذ كانت النساء - يجتمعن إليها طلباً للعلم (ابن حجر، الإصابة، ج8، ص140) فكانت قدوة لنساء المؤمنين (ابن سعد، الطبقات، ج8، ص52، 53)، فمما يُروى إن النساء المسلمات الأوائل كنَّ يُعلمنَّ الرجال من وراء الحجاب (ابن حجر، لسان الميزان، 1989م، ج7، ص552).

لقد منح الاسلام للمرأة حق العمل، وقد جاء ذكر ذلك في آيات بيّنات عديدة في القرآن الكريم، قال تعالى: ((للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)) (سورة النساء، الآية 32) وقال تعالى: ((ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم بغير)) (سورة البقرة، الآية 198) ولهذا وقفت المرأة طوعاً منها إلى جانب الرجل في العمل تأثراً بتعاليم القرآن الكريم وبما جاء فيه من نصوص لهذا التطوع الذي كان وساماً للمرأة، ومن ذلك قصة بنات النبي شعيب، عليه السلام، قال تعالى: ((ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير)) (سورة القصص: الآية 23-24).

ولا يفوتنا في هذا المجال الانموذج المشرف أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) التي كانت تعمل في تجارتها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة النبوية (ابن اسحاق، السيرة، د.ت، ج2، ص59؛ ابن الأثير، ج7، ص9) وقد أمدت الدعوة الإسلامية المباركة بأموالها ومشورتها السديدة في سبيل نصرته الدين والمبادئ، فكانت امرأة تاجرة ثرية أنفقت قسماً من أموالها في بداية الدعوة الإسلامية أما الجزء الأكبر منه فقد كان عوناً للمؤمنين ومصدراً لعيشهم في حصار قريش لهم في شعب أبي طالب، فكانت أعقل العقلاء وفُضلى الفواضل (رضي الله عنها) (ابن اسحاق، ج2، ص140؛ العكدي، نساء الأنبياء، 2011م، ص400-401) إلى جانب رعايتها واهتمامها ببيتها وزوجها وأولادها وتسعى إلى التربية الإسلامية الصالحة لهم (ابن حجر، تلخيص، 1964م، ج2، ص62).

وفي ميدان الحرب، ولاسيما في حروب التحرير العربية الإسلامية، تقف المرأة العربية المسلمة شاخصة في سقاية المحاربين

وإعداد الطعام لهم وتضميد جراحهم وما إلى ذلك مثل أثر أم عطية الأنصارية في غزوات رسل الله، عليه أفضل الصلاة والسلام (مسلم ج3، ص147) وأثر ربيعة الأسلمية في تضميد الجرحى في غزوة الخندق (ابن سعد، ج1، ص22، ج3، ص420، 423؛ الذهبي، سير، 1998م، ج1، ص287)

أما في مجال الصدقة في سبيل الله تعالى فكانت أم المؤمنين (زينب بنت جحش) رضي الله عنها، أنموذجاً في ذلك، فكانت تعمل في دبغ الجلود وخياطة الملابس لتتصدق بأثمانها على الفقراء والمساكين (ابن سعد، ج1، ص122؛ شاعر، ص160)، ولهذا نعتها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله: ((أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً)) (البخاري، ج1، ص442؛ مسلم، ج4، ص1907) 0 وتمثل المرأة المسلمة مثلاً راقياً للتضحية بالنفس تطوعاً، فأسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما)، تُخرج الطعام والشراب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولأبيها (رضي الله عنه)، ذهاباً إلى غار حراء لتقديم الطعام لهما، في زمن تكالبت فيه قريش على المسلمين (ابن سعد، ج28، ص270).

أما أثر المرأة وعملها التطوعي في إبداء الرأي والمشورة فشهدناه منذ بداية الدعوة الإسلامية (فرحات وآخرون، الفكر، 2003م، ص203)، وقد تمثل ذلك في أثر أم المؤمنين السيدة أم سلمة، رضي الله عنها، وأذ هي ترافق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عمرة الحديبية ومشورتها التاريخية له حين حاصرت قريش المسلمين ومنعت المُحرمين للعمرة من دخول مكة المكرمة للطواف ببيت الله الحرام، فوقع الخلاف بين الصحابة في كيفية التحلل، فإذا بأم سلمة تقول لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((يا نبي الله وتجب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم حتى تتحرر بؤنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً)) (الطبري، جامع البيان، 1984م، ج2، ص221) وقد أجابها، عليه أفضل الصلاة والسلام، في ذلك تمثلاً للآية الكريمة ((فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي حَجَّ)) (سورة البقرة: الآية 196)، إن أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) برأي (أم سلمة) هو إرساء لمبدأ مشاوراة النساء والاعتداد برأيهن فضلاً عما تعكسه هذه الرواية في حُسن التمثيل لأي الذكر الحكيم في كيفية تحلل المسلمين إذ كانوا مُحرمين لتأدية مناسك الحج أو العمرة وقد أُحصروا عن دخول مكة المكرمة ((ولأن تأثير العمل في القدوة أقوى من تأثير القول وحده)) (رضا الحسيني، حقوق، 2005م، ص74).

ومن قبيل الأخذ برأي المرأة واحترام ما تُبدي من أفكار فإن فكرة (النعش) في نقل جنازات الموتى حتى يواروا الثرى كان من ابتكار السيدة أم سلمة (رضي الله عنها) والسيدة أسماء بنت عميس (رضي الله عنها)، زوج الخليفتين أبو بكر وعلي على التوالي (رضي الله عنهما أجمعين) وذلك حينما رأيا في الحبشة عند هجرتيهما إليها ذلك الأمر، فتطوعتا لتوجيه المسلمين بذلك بعد أن شكت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بقولها: ((إنني لأستحي من جلال جسمي إذا خرجت على الرجال غداً- حين يدفنها- وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء، فقالت أسماء بنت عميس وأم سلمة وإني رأيت شيئاً يُصنع بالحبشة، فصنعت النعش فأتخذ بعد ذلك سُنَّة)) (ابن الجوزي، الوفا، 1988م، ج2، ص291؛ العمري، ص231؛ الصالح، المنسوجات، 2003م، ص262) وهذا في حقيقته يدل على إسهام المرأة وتطوعها في حلّ المشكلات وإبداء الرأي الناصح.

ومما يُذكر في معارك فتح العراق وغيره من الأمصار، في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، أن المرأة كانت تحمي ظهور المقاتلين، فهي فضلاً عما كانت تقدّمه لهم من طعام وشراب وضمد وإسناد معنوي، فهي في ساعات الشدة كانت تقدّم لهم المدد، فيذكر أنها إبان التحام الجيوش كانت تتخذ خميراً على وجهها كي توهّم الأعداء بأن مدداً من الرجال وصل دعماً للمسلمين، مثل ما عملته (أزدة بنت الحارث) أيام فتح العراق وتوجيهها النسوة باتخاذ رايات من عباءاتهن (عبد الحميد، نساء، 2009م، ص175). ونسوة أخريات تطوعن بأولادهن يستشهدون أمامهن في ساحات القتال لنصرة الدين الحنيف ومنهن الخنساء (ابن عبد البر الاستيعاب، ج4، ص289؛ عبد الحميد، ص132، 133).

وتُخلد صفحات التاريخ للمرأة المسلمة صلابتها وقوتها تجاه الزمن وتقلباته، فما صلابة ذات النطاقين، السيدة أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) في أخرج الأحوال التي مزّت بها وهي ترى موقف الحجاج ابن يوسف الثقفي (البخاري، البدء، 1997م، ص251-252) من ولدها عبد الله بن الزبير بن العوام، وحصار الحجاج له في عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان (65-86هـ/705-684م) في المسجد الحرام سنة (72هـ/691م) إذ راحت تحث ولدها، وفلذه كيدها، في الاستمرار على القتال أو الشهادة، فتقول حكمتها العظيمة ((يا بني إن الشاه لا تتألم إذا نُبِحت)) (الدينوري، الأخبار، 1988م، ص314؛ الواسطي، تاريخ، 1989م، ج1، ص73) إلا شاهد تاريخي حي على قوتها ووقوفها إلى جانب الحق والمبادئ.

وأخيراً لا ننسى أن المرأة المسلمة ابتداءً كانت أصلاً ضمن رجال البيعتين الأولى والثانية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (لتوسع في موضوعه بيعة النساء: البخاري، ج6، ص637؛ ابن حنبل، ج6، ص114؛ رضوان، حقوق المرأة، 2006م، ص94،

148) وكان تطوعها في تلك الأوقات العصبية نصراً لله تعالى ورسوله الكريم (عليه أفضل الصلاة والسلام) وخصت بيعه النساء بذكر نصّها في سورة الممتحنة، قال تعالى: ((أيا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتانٍ يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروفٍ فبائعهن واستغفر لهن إن الله غفورٌ رحيمٌ)) (سورة الممتحنة: الآية 12)

من كل ذلك يتبين لنا أن للمرأة أعمالاً تطوعية متنوعة مشرقة في صدر الإسلام، فقد كانت القدوة المثلى لمن سيأتي بعدها من النساء والرجال، على حدٍ سواء، وهي تعكس دروساً تربوية رفيعة في التضحية بالغالي والإيثار بالنفس من أجل البناء والعمران والازدهار.

أما عن أعمال المرأة التطوعية في العصر الأموي فقد كانت بسيطة لا تتجاوز في مساهمتها لأخيها الرجل في تحمل شظف الحياة وقساوتها لتخفيف الأعباء المالية والاقتصادية عنه من خلال وقوفها معه داخل المنزل على وجه العموم نظراً لضيق الحرية الاجتماعية الممنوحة لها وهيمنة الرؤى القبلية أزاءها يومذاك 0

أعمال المرأة التطوعية في العصر العباسي الأول والثاني

توطئة: التطوع في اللغة والمصطلح:

جاء في لسان العرب: تطَوَّعَ للأمر وتطَوَّعَ به وتطَوَّعَ: تكلف استطاعته، وفي التنزيل العزيز: أ: ((فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ)) (سورة البقرة: الآية 184)، وقال الأزهري: وَمَنْ يَطْوَعُ خَيْراً: الأصل فيه يَطْوَعُ فأدغمت التاء في الطاء، ويُقال: تَطَوَّعَ لهذا الأمر حتى تستطيعه. والتَطَوَّعُ: ما يتبرع به المرء من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه كأنهم جعلوا التفعّل هنا اسماً كالتنوّط. والمُطَوَّعة: الذين يتطوعون بالجهاد... قال ابن الأثير: أصل المطوَّع: المتطوَّع فأدغمت التاء بالطاء، وهو الذي يفعل الشيء تبرعاً من نفسه (ابن منظور، لسان، 2005م، ج5، ص223).

ومن المصطلح اللغوي نجد اتفاقاً بين ما تذهب اليه اللغة وما يسعى إليه المصطلح في كون التطوُّع هو ما يقمّ المرء من خير وأعمال صالحة من ذات نفسه اجتهاداً أو سعيّاً؛ لنيل رضا الله تعالى أولاً ومن ثم خدمة لنفسه وللآخرين، فمنها التضحية بالنفس والمال، ومنها تقديم المشورة السديدة والرأي السليم، وهي على العموم وفي نطاق هذا البحث أعمال متنوعة مشرقة للمرأة العربية المسلمة إبان العصر العباسي خارج نطاق أسرتها ولأبناء جيلها بالمجان أو لقاء مبالغ زهيدة.

المبحث الأول: أعمال المرأة التطوعية في الحياة الدينية والعلمية:

يُعدُّ العصر العباسي الأول عصر ازدهار الحياة الفكرية، عصر الثقافة والتقدم والاختلاط بالشعوب والحضارات الأخرى، حيث طلب العلم من جميع الطبقات ومنها النساء في العصر العباسي، اللاتي شمرن عن ساعديهن للبناء والاعمار، سواء داخل بيوتهن أو خارجها تطوعاً، لما هو معروف أنّ عمل المرأة هو داخل بيتها، في رعاية شؤون أسرتها، أما ما تقوم به من أعمال متنوعة أخرى ومنها أعمالها في الحياة الدينية (الدعوة) لنشر الدين الإسلامي الحنيف وتعريف حقيقته للناس وما الى ذلك، أو الأعمال العلمية والثقافية المتنوعة الى أبناء مجتمعهما، بالمجان أو لقاء مبالغ زهيدة فهي أعمال تطوعية لها، تقوم بها سعيّاً لرضا الله تعالى أولاً ومن ثم خدمة أبناء جيلها وبالأخص الناشئة الصغار (ابن الجوزي، المنتظم، 1939م، ج18، ص254)، فقد عُرفن الكثيرات منهنّ بمجالس العلم التي يحضرها العديد من أصحاب الثقافة والفكر من كلا الجنسين وبينهما حجاب (المصدر نفسه، ج18، ص254)، فظهرت العالمات في الشؤون الدينية وعلوم القرآن الكريم والمُحدّثات والمُثَقَّات وغير ذلك من جوانب الحياة الفكرية وبرز الاتجاه نحو التصوف والزهد (Sodiq، 2011، p.261)، ولهذا كان للمرأة العباسية أثراً جليلاً في الحياة الدينية والعلمية إذ تطوَّعت للتدريس والتعليم فيها مجاناً أو لقاء مبالغ زهيدة حتى وجدنا الخطيب البغدادي يترجم في تاريخه لأكثر من ثلاثين امرأة من أهل بغداد ممن عُرفن بالعلم (الخطيب البغدادي، تاريخ، ج14، ص430-447) حتى برز التطوع لتلك النسوة، وأصبحت المرأة ضمن المنتديات الفكرية وحلقات الدرس في قصور الخلفاء والعامّة، وبينهما حجاب، مثل السيدة الفاضلة التي عُرفت بالدهاء الفكري والسياسي معاً (زينب بنت سليمان الهاشمية)، هذا فضلاً عن النسوة العباسيات الأوائل اللاتي يزرنهن لأغراض التعليم وقوفاً إلى جانب الرجل في تحصيل العيش الكريم وتحمل شظف الحياة (أجاييف، حقوق، د.ت. ص43)، ولنا في مقولة الخليفة المهدي (158-169هـ/775-786م) لزوجته الخيزران بحق (زينب بنت سليمان الهاشمية) أنموذجاً صادقاً تتجلى فيه المكانة الجليلة لهذه السيدة في الحياة الفكرية حين قال لزوجته ((إلزميها واقتنسي من آدابها وخذي من أخلاقها فإنها عجزٌ لنا قد أدركت وأثلنا)) (المسعودي،

مروج، 2009م، ج1، ص487؛ ابن حجة الحموي، ثمرات، 1971م، ص253) إذ عُرفت هذه المرأة بالحكمة وما يتضمنها من أقوال (الآبي، نشر الدرر، 2004م، ج4، ص33)، وقد عُرفت (زينب الهاشمية) أيضاً بالتحري عن الأحاديث النبوية الشريفة وتخريجها (الطبراني، ج10، ص287؛ الخطيب البغدادي، ج14، ص434-435) فكان بنو العباس- يُجلّونها لمكانتها الدينية والعلمية والمعرفية وما كانت تقدمه لازدهار الحياة الفكرية تطوعاً (الخطيب البغدادي، ج14، ص435؛ ابن منظور، مختصر، 1984م، ج3، ص111).

ويُشهد للسيدة الخيزران أنها انبرت تطوعاً للتأثير في زوجها الخليفة المهدي في حثه على تشييد دور العلم ومكافأة الموهوبين والعلماء والأدباء (ابن الخطيب، ج14، ص431؛ كحالة، أعلام، 1959م، ج1، ص444؛ أجاييف، ص45) ولهذا شهد عصرها إقبالاً على إنشاء المؤسسات العلمية التي أُجريت عليها الأوقاف (المسعودي، ج2، ص16).

وقد عُرفت الخيزران بذكائها ونباهتها وفصاحتها الكبيرة (ابن الخطيب، ج14، ص431؛ ابن كثير، ج10، ص163)، ولا عجب إذ كانت تلميذة الإمام الأوزاعي، رحمة الله تعالى (الذهبي، سير، ج7، ص111)، فضلاً عن تربيتها لأولادها وتطوعها هي ذاتها بتشجيع علماء الدين والعلم والعلماء والأدباء (الابشيهي، المستطرف، 1989م، ج2، ص121)، وبهذا أدت الخيزران دوراً كبيراً في النهضة العلمية والثقافية الواسعة التي شهدها العصر العباسي الأول (كحالة، ج1، ص400).

وشهدت سوح الحركة العلمية في هذا العصر أيضاً نشاطاً تطوعياً لامرأة عباسية أخرى هي السيدة (زبيدة) زوج الخليفة الرشيد (170-193هـ/787-809م)، إذ كانت ممن يرفع الفقهاء والعلم والعلماء، وكانت تحت الرشيد في رعاية العلم والعلماء والفقهاء أيضاً، لذلك أجمع على باب الخليفة هارون الرشيد من العلماء والأدباء والفقهاء والكتّاب والقراء والمغنين ما لم يجتمع على باب خليفة غيره (ابن الخطيب، ج4، ص433؛ ابن طباطبا، الفخري، د. ت. ص196) زيادة على تمتع السيدة زبيدة بحدة الذكاء الذي جعلها تقف إلى جانب الرشيد في الحركة العلمية والعمرانية الزاهرة التي عاشها عصره، لذا عُدت زبيدة أحد مفاخر عصر الرشيد لقدرتها الكبيرة على النظم وكتابة الرسائل والتوقيعات (الجهشياري، الوزراء، 1938م، ص165؛ ابن عبد ربه، العقد، 1999م، ج3، ص261) وكانت أيضاً ترفع الفقهاء وتتطوع في سد حاجاتهم وعوزهم ومن هؤلاء الفقيه القاضي (أبو يوسف) ومن الشعراء (أبو العتاهية) (السيوطي، الدرر، ص218) وكانت تُجزل العطاء على من يتفوق من الشعراء والأدباء (النويري، نهاية الأرب، 2004م، ج22، ص189)، حتى وجدناها أيضاً تسهم تطوعاً في دعم الحركة العلمية الطبية ورعايتها، إذ عُرفت برعايتها الكبيرة للأطباء ومنهم الطبيب العالم (جبرائيل بن بختيشوع) فقد خصصت له راتباً شهرياً (الزركلي، ج2، ص111) وكانت ممن عُرفن بالبراعة بفنون الكتابة والتوقيعات أيضاً (الجاحظ، البيان، 1972م، ج1، ص106؛ ابن الخطيب، ج13، ص24)، وليس بغريب أن عُرف عنها أنها كانت إلى جانب جمالها تتمتع بخصال رائعة أخرى فهي ((فصيحة ليبية عاقله مديرة)) (ابن تغري بردي، ج2، ص214) ومنها أنها عُرفت بتطوعها بتعليم الجوّاري القرآن الكريم وأمور الدين (ابن الخطيب، ج13، ص24؛ ابن عساكر، ج5، ص328) بعد أن كانت تضرب ستاراً في مجالس الرشيد مع كبار الفقهاء لتسمع مسائل فقهية وفتاوى شرعية سعيّاً منها لنشرها بين النساء (ابن خلكان، ج2، ص314؛ الذهبي، سير، ج10، ص241).

ولا يفوتنا في هذا المجال ذكر (عائشة بنت الخليفة الرشيد) التي تطوعت لرعاية الشعراء والأدباء فأسهمت بذلك في انتعاش الحركة الأدبية

ومن النساء اللاتي عُرفن بمجالسهن العلمية التي يقصدها الفقهاء والعلماء (ابن عبد ربه، العقد، ج6، ص360؛ وأخبار النساء، ص48) السيدة (بوران) زوج الخليفة المأمون (198-218هـ/814-833م) حتى أن جلساء المأمون كان ينصرف بعضهم من مجلسه إلى مجلسها (ابن عبد ربه، العقد، ج6، ص469).

وما أن نأتي إلى بنات الخلفاء وغيرهن من الأميرات حتى نتصدر إلينا أعلام كثيرة أسهمت في التطوع تجاه التعليم والفنون، فكانت هناك (عليه بنت الخليفة المهدي) التي عُرفت بتطوعها وسعيها نحو تعليم القرآن الكريم وعلوم الدين والدنيا (الأصفهاني، الأغاني، د. ت. ج10، ص172؛ ابن الجوزي، أحكام، 2003م، ص142؛ كحالة، ج3، ص334)، فضلاً عن الصنعة الموسيقية (الأصفهاني، ج10، ص172؛ كحالة، ص334) والمعرفة بالأحان التي تُصنع للغناء ففاقت عصرها (الأصفهاني، ج10، ص172؛ ابن الجوزي، ص142) وكان دورها الأساس في بث الحكمة لتعليم الناشئة شبل العلم، وما أثير عنها من أقوال الحكمة قولها: ((ما حرم الله شيئاً إلّا وقد جعل فيما حلّ عوضاً منه فبأي شيء يحتج عليه عاصيه والمنتهك لحرماته)) (الصولي، أشعار، د. ت. ج1، ص18) وقد عُرفت أيضاً بجكم كثيرة أخرى (الأصفهاني، ج10، ص163)، وقد كان تطوعها لتعليم نفسها أولاً ثم السعي لنشر ما تعلمته هو وسيلتها الناجحة في العمل التطوعي، لذا انتشر صيتها وسيرتها الحسنة بين الناس حتى تردد اسمها في أكثر من محفل

حيوي، ومنها محافل الشعر (التوحيدي، البصائر، 1999م، ج1، ص82)، إذ كان لها ديوانٌ شعريٌّ (الأصفهاني، ج1، ص185) تناولت فيه مختلف الأغراض الشعرية (ابن الجوزي، أحكام، ص142؛ البدوي، موسوعة، 1998م، ص172؛ كحالة، ج4، ص334) حتى عُرفت باستعمال المصطلحات الفقهية في شعرها (الشكعة، الشعر، 1973م، ص458)، إذ هي جعلت من الشعر صفحة إرشادية تطوّعت من خلاله لنشر العلم والثقافة بين أبناء جيلها، فضلاً عن اهتمامها الكبير بالقرآن الكريم وعلومه (عاشور وآخرون، دراسات، 1995م، ص423) ولذلك وجدنا الرشيد يتعلّق بحبها ويكرّمها ويدعوها لمجالسه الأدبية واصطحابه في رحلاته الكثيرة (المسعودي، ج2، ص16، الصولي، ج1، ص19؛ التوحيدي، ج1، ص82).

ومثلما عُرِفَت (عليه بنت الخليفة المهدي) هذا السبيل للتطوُّع في خدمة مجتمعها عُرِفَت أيضاً (خديجة ابنة الخليفة المأمون)، إذ كان لها دور بارز في ذلك حتى أنّ صدى ألقائها تناقلته الأجيال حتى وصل عهد الخليفة المتوكل على الله (232-247هـ) (الأصفهاني، ج12، ص329؛ وأخبار النساء، د.ت، ص107)، ومثلها أيضاً (عائشة بنت الخليفة المعتمد بن هارون الرشيد) (البدوي، ص166) التي تطوّعت لخدمة أهل الأدب واللغة والفقه من خلال مجالسها التي كانت تعقدها (كحالة، ج3، ص191)، ولا نريد الوقوف عند غيرهن أمثال (لبانة بنت علي بن المهدي) زوج الخليفة الأمين.

ولم تكن الطبقة الاجتماعية تقف حائلاً ودور المرأة العباسية في عصرها الأول في الحياة الدينية والعلمية تطوعاً في خدمة الآخرين (أجاييف، ص50)، حتى بلغ عدد النسوة اللاتي خلّدن التاريخ في الوعظ والفقه وما إلى ذلك ثلاثين ألف امرأة (ابن الخطيب، ج14، ص430-447؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص175؛ ابن الأثير، الكامل، 1994م، ج1، ص84) وبهذا نجد ظهور الواعظة والعالمة والفقيهة والمُحدّثة من خلال مبدأ التطوع الذي نتحدث عنه، ففي علم الحديث كان هناك مثلاً (فاطمة النيسابورية) إذ اشتهرت بأنها كانت تُحدّث وتفسّر معاني القرآن الكريم أيضاً، ونجد أيضاً (بنانة ابنة يزيد العيشية ت142هـ/759م) (ابن حجر، ج6، ص584؛ كحالة، ج1، ص149)، وتستوقفنا السيدة نفيسة بنت الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنها)* التي عُرِفَت بعنايتها بعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وروايته ونشر ما تعلّمتها تطوعاً حتى بلغت مكانتها العلمية أنّ الإمام الشافعي (رحمه الله تعالى) سمع منها وروى عنها (ابن خلكان، ج5، ص408).

ويطول الحديث عن النساء المُحدّثات في العصر العباسي مثل (حُمَيْصَةُ بنت ياسر) التي روى عنها الإمام الترمذي (رحمه الله تعالى) (ابن حجر، ج6، ص590) و(خديجة أم محمد) روى عنها (عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل) (ابن الخطيب، ج14، ص435؛ كحالة، ج1، ص303) والمُحدّثة (أمنة بنت الحافظ أبي محمد بن عبد العزيز المبارك الأخضر البغدادي) (الذهبي، تاريخ، ج46، ص143) وغيرهن.

وكان فيصل الحصول على المكانة العلمية هي الحصول على (الإجازة العلمية)، ففي إجازة علوم الحديث الشريف ما نالته (زينب بنت سالم بن عبد السلام البغدادية) (الذهبي، ج14، ص515) إذ نالها عن (شهادة الإبرية) (ابن العماد، شذرات، ج4، ص248) الكاتبة البغدادية (الذهبي، سير، ج23، ص232؛ الصفدي، ج19، ص524)، حتى وصل الأمر بالمرأة العباسية إلى منح الإجازة العلمية للعلماء والشيوخ (ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص20)، فكانت المرأة تنتقل بين القرى والأصمار سعيّاً وتطوعاً منها لبث العلم والحديث ومنح الإجازات التي حصلت عليها، ومن ذلك (عاتكة بنت الحافظ أبي العلاء الحسن بن سهل العطار) (الذهبي، سير، ج23، ص232؛ تاريخ، ج13، ص215؛ الصفدي، ج19، ص524) التي اختصت بشؤون الحياة الدينية وتطوعها في نشره في الدروس ومنح الإجازات العلمية، ولم يُفْثَها أيضاً العناية بحلقات الدروس والكتاتيب، فقد كانت تتخذ من المساجد والبيوت مكاناً لتعليم صغار السن القرآن الكريم وعلوم الدين لغرس مبادئ الإسلام القويم في نفوس الناشئة الصغار (الأصفهاني، ج21، ص219) 0 وممن تطوّعت أيضاً لجعل دارها مركزاً للدرس والمناقشات والمناظرات العلمية (عليه بنت حسان).

وممن عُرِفَ بحب الله تعالى وتطوعهن في نشر مذهب التصوف (رابعة العدوية) إذ لم تكن داعيةً فحسب وإنما ترجمت الدين الإسلامي الحنيف إلى عمل حيث تطوّعت في تشجيع المقاتلين حين لجأوا إليها، فحثّتهم بقتال العدو والجهاد في سبيل الله تعالى بدلاً عن الاتكال والتكاسل والتقاعد دائرة المعارف الإسلامية، ج9، ص438؛ عبد الحميد، ص139؛ علي، نساء لهن في التاريخ نصيب، ص13).

وممن تطوعن لاسترجاع الحق والوقوف بوجه من قتل أخاها (الفارعة بنت طريف الشاري) (الأصفهاني، ج10، ص93؛ ابن خلكان، ج6، ص132) فنهاها تحسن توظيف ملكتها الأدبية والشعرية الباهرة، إذ تقدمت الصفوف مقاتلةً ضد جيش الرشيد، وكانت تُشَدُّ شعراً حماسياً تحريضاً للمقاتلين على الانتقام لمقتل أخيها (الوليد بن طريف الشاري الخارجي) في إلقاء عذبٍ لها تشدُّ به همهم، ولها رثاء يتصف بالفجعية والعواطف الحارة (الخضري بك، محاضرات، 2004م، 99-100).

وخلاصة ما تقدّم فإن أثر المرأة في الحياة الدينية والعلمية في العصر العباسي الأول اتخذ أشكالاً متعددة، منها: سعي المرأة نحو التعلّم أولاً ثم بث ما تعلّمت من حكمة وحديث وفقه وغير ذلك لخدمة الإسلام الحنيف، وقد أخذ ذلك صوراً عديدة، منها المناظرات والمناقشات العلمية في دور الخلفاء أو منح الإجازات العلمية من المرأة للعلماء والمفكرين من كلا الجنسين، فضلاً عن تنقّلاتها بين القرى والأمصّار البعيدة لتعليم ما تفتته من علوم دينية ودنيوية وتدريسها، وتتصدر ذلك تدريسها في المجالس والكتاتيب الناشئة الصغار من البنات والبنين، والذين سيجملون بناء المجتمع مستقبلاً، بالمجان أو لقاء مبالغ زهيدة. أما في الميدان الثقافي فقد تبوّأت المرأة مكانة مرموقة عبر تطوعها في الأعمال الثقافية المتنوعة، في رعاية العلم والأدباء أو حث الخلفاء والأمراء على رعاية الحركة العلمية والأدبية والمساهمة فيها، وهي لا تنسى مطلقاً إشرافها ورعايتها لأسرتها ومساهمتها في الوقوف مع الرجل في تحمل أحوال الحياة.

المبحث الثاني: أثر المرأة في الحياة السياسية والإدارية التطوعية في العصر العباسي الأول والثاني:

كان للمرأة دور كبير في التطوع لبناء أركان الدولة العباسية، وتمثّل ذلك بمشورتها السياسية للسيدة للخلفاء والأمراء والوزراء وغيرهم من الحكام وذلك لنفاذ رأيها وحُسن تدبيرها (خليل وآخرون، أثر نساء، 2014م، ص24)، وظهر ذلك في المواقف السياسية المتعددة التي تعرضت لها الدولة وتناولتها المصادر التاريخية، فقد شهد التاريخ (لأم سلمة بنت يعقوب) في تخطيط شؤون الدولة، إذ وقعت بجانب زوجها الخليفة أبي العباس السفاح (132-136هـ/749-753م) * بشكل مباشر أو غير مباشر قبل أن تقول له الخلافة بعدما أختلف (البلاذري، أنساب، 1992، ج23، ص195؛ المسعودي، ج1، ص462-463؛ سالم، العصر العباسي، دت، ص339)، وذلك من خلال تقديم المال والمشورة الحسنة، فكان يأنس لرأيها ممّا ساعده على كشف خبث أعدائه (البلاذري، ج3، ص195؛ الأصفهاني، ج27، ص33) في صراعه مع بني أمية، فقد كانت (أم سلمة بنت يعقوب) هذه قبل ذلك زوجة (لعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان) فمات ثم خلف عليها (مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان) فمات هو أيضاً، لذلك نجدها أعرف الناس بسرّ بني أمية ومواطن ضعفهم وقوتهم. (المسعودي، ج1، ص462؛ وابن عساكر، ج70، ص242)، ومن حكمتها إشارتها إلى زوجها الخليفة حين وقع (سليمان بن هشام بن عبد الملك) * بقبضته أن يُخلي سبيله كونه كان بعيداً عن (مروان بن محمد) آخر الخلفاء الأمويين (127-132هـ/744-749م)، فلم يتعرض إليه في بادئ الأمر (البلاذري، ج2، ص11). ومن آثار (أم سلمة بنت يعقوب) المشهود لها في الحياة السياسية هو إحياؤها السنة النبوية الشريفة حين أشارت، تطوعاً منها، إلى (أبي العباس السفاح) أن يخطب بين الناس وقوفاً بعد أن كانت جلوساً (جمعة، نساء، ص263) ومن حُسن نصحتها للخليفة أيضاً أن يعهد بولاية العهد من بعده لأخيه أبي جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م) بدلاً من ابنها (محمد)، إذ كان صغير السن (السيوطي، ص229)، وبهذا فقد أسهمت في الحفاظ على الدولة الفتية ولحمتها من الفرقة وانشقاق الصف (البلاذري، ج2، ص1؛ خليل، أثر نساء، ص265).

إن الأمانة بالمرأة وحُسن تدبيرها دفع بالخلفاء العباسيين إلى السعي بها نحو التطوع واضطلاع الأعمال السياسية الجليلة، ومن أمثلة ذلك (ريطة بنت أبي العباس السفاح) فقد استلمت مفاتيح خزائن الأموال في عهد الخليفة المنصور وذلك لأمانتها وحرصها أبان ذهاب المنصور إلى الحج في حجته الأخيرة عام (158هـ) (تاريخ الطبري، ج4، ص541؛ عفيفي، المرأة العربية، 1930م، ج3، ص91، 92) إذ كان ابنه (المهدي) بالري، وهذا خير شاهد لأثر المرأة التطوعي في حمل المسؤولية السياسية الجسيمة. وتُعدّ المشورة سمة من السمات التي عُرفت بها الخيزران، إذ كانت كثيراً ما تُفتي وتضع الحلول عندما تقع المشاكل السياسية وتحيط بزوجها الخليفة المهدي (تاريخ الطبري، ج4، ص604) ولم يكن تأثيرها في الخليفة المهدي في أمور البيعة قليلاً، إذ كانت تُبدي رأيها بالنصح والمشورة السياسية التطوعية (المسعودي، ج3، ص346؛ ابن الساعي، مختصر، ص246؛ السيوطي، ص26؛ جمعة، ص234) حتى وصل بها الأمر في عهد ولدها الخليفة موسى الهادي (169-170هـ/786-787م) إلى تخطيط شؤون الدولة السياسية وبما ينسجم مع مصلحة الدولة وخدمة مصالح الناس غالباً (بروكلمان، تاريخ، 1974م، ص185؛ سويد، نساء، 1990م، ص179)، وبهذا عُرفت هذه السيدة أنها كانت قبلةً للمحتاجين من الرعية (تاريخ الطبري، ج8، ص188؛ المسعودي، ج3، ص328؛ ابن الأثير، الكامل، 1994م، ج6، ص38؛ ابن الطقطقا، ص191). وقد كان للخيزران الأثر الكبير في تثبيت ولاية العهد بالخلافة لولدها (هارون الرشيد) بعد أن عزم أخوه الهادي تولية ولده الصغير (جعفر) لها من بعده، فوجدت أنّ من صالح الدولة العباسية أن تختار مَنْ هو أصلح لحكمها وتسيير شؤون سياستها الداخلية والخارجية (الجهشياري، ص169؛ ابن الطقطقا، ص191؛ ابن تغري بردي، ج12، ص65؛ خليل، ص268).

أما السيدة زبيدة، زوج الخليفة الرشيد، فكان لها مواقف وأعمال سياسية تطوعية متنوعة باهرة، ولا سيما في المشورة الحسنة، حتى أن الرشيد بلغ به الأمر أن يقول لها: ((أشير عليّ برأيك الموفق الرشيد)) (الإتليدي، إعلام الناس، 2004م، ج1، ص175). ويُشهدُ (زينب بنت سليمان الهاشمية) عمل سياسي تطوعي مهم في حبّ الخليفة المأمون على ردّ حقوق العلويين لما أصابهم من مأس وويلات، فقد كانت تشير إليه كثيراً أن يُحسن معاملتهم حتى بلغ الأمر به أن تنازل عن ولاية العهد من بعده إلى أحد رجالاتهم الكبار الإمام (علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب) الإمام الثامن من الأئمة الاثني عشرية (رضي الله عنهم أجمعين) (ابن حزم، الملل، ج1، ص171)، فضلاً عن تغييره شعار الدولة العباسية إلى الخضر بدلاً من السواد (المسعودي، ج2، ص488؛ الجهشيري، ص312-313؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص127)، فانشق لذلك البيت العباسي واضطرب، وتقادياً لذلك أسهمت (زينب بنت سليمان الهاشمية) تطوعاً منها في توجيه المأمون إلى نزح الخضر وإعادة شعار العباسيين إلى السواد ثانية (المسعودي، ج2، ص488؛ ابن الجوزي، ج10، ص127؛ ابن طباطبا، ص111)، ولا يفوتنا في هذا المجال موقفها التطوعي عند مقتل (إبراهيم بن محمد بن علي) إمام الدعوة العباسية على أيدي الأمويين سنة (132هـ) (عطوان، الدعوة العباسية، 1984م، ص235-236) إذ دخلت على الخليفة (مروان بن محمد) تستأذنه وتتطوع لدفنه فأجاب طلبها إكراماً لها (ابن عساکر، ج70، ص124؛ ابن حجة الحموي، ثمرات، 1971م، ص253)، ولكل هذا وذلك بلغت منزلتها، فيما قدّمت من أعمالٍ سياسية تطوعية جليّة، أن تجلس في موقعٍ مهم في دار الخلافة وبجانبها الخيزران زوج الخليفة المهدي (المصدران السابقان).

واضح حكمة السيدة (زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور) ورجاحة عقلها، مرة أخرى، في الخلاف السياسي الذي وقع بين ابنتها الخليفة الأمين وأخيه المأمون على ولاية العهد من بعد الأمين، فلم تمل إلى جانب ولدها الأمين في صراعه مع المأمون كل الميل، إذ كانت وصيتها لقائد جيش الأمين (علي ابن عيسى بن ماهان) أن لا يعامل (المأمون) معاملة قاسية وطلبت منه أن ((لا تعنف عليه في السير ولا تساوره في المسير ولا تتركب قبلة... ثم دفعت إليه قيدا من فضة وقالت: إن صار بيدك فقيده بهذا القيد)) (الدينوري، ص579؛ الطبري، ج7، ص16؛ ابن طباطبا، ص214؛ حمادة، الوثائق، 1985م، ص278-279)، وحين قُتل ولدها الأمين لم تطلب بثأره حفاظاً منها على لحمة الدولة بل اكتفت بتسويد ثيابها (المسعودي، ج4، ص336؛ ابن كثير، ج10، ص348) والصبر على ما أصابها حتى وصل بها الأمر، كما تذكر المصادر التاريخية، أن تُعامل (المأمون) معاملة ولدها (الأمين) وقد اتضح ذلك في قولها للمأمون: ((لئن فقدت ابناً خليفة فقد اعتضت ابناً خليفة، وما خسر من اعتاض مثلك، وما تكلت أم ملأت يدها منك، وأسأل الله أجراً على ما أخذ وإمتاعاً بما عوض)) (ابن عبد ربه، العقد، ج2، ص273؛ وينظر: ابن الخطيب، ج14، ص433-434؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص129) ولم يكن ذلك إلا حكمة منها وسداد رأي نهض بالدولة العباسية ومنع من انشقاق الصفوف، فكانت السيدة زبيدة بذلك مثلاً رائعاً في العمل السياسي التطوعي، في خدمة الدولة بالحكمة والبصيرة النافذة، فكانت بحق رجل الدولة في أيام المحن والاضطرابات.

ولم نجد في عهد الخليفة (المأمون) أثراً واضحاً للأعمال النسائية السياسية التطوعية إلا ما شاهدناه عند زوجه الأثرية (بوران بنت الحسن بن سهل)، إذ طلبت أن يعفو عن عمه (إبراهيم بن الخليفة المهدي) والذي حكم في بغداد لمدة سنتين قبل وصول المأمون إليها (المسعودي، ج4، ص26؛ ابن طباطبا، ص219؛ سالم، ج3، ص341) لرغبتها في لم شمل بني العباس، وذلك لأنه تمت مبايعة أهل بغداد (لإبراهيم بن الخليفة المهدي) بالخلافة بدلاً من المأمون حين سماعهم بتحويل ولاية العهد للإمام (علي الرضا) سنة (202هـ) في مرو، وحين وصل المأمون إلى بغداد سنة (204هـ) اختفى (إبراهيم بن المهدي) وظل مختفياً ثمانية سنوات، ثم شُفع فيه لدى المأمون وعاد إلى الظهور. (الجهشيري، ص312-313؛ وابن طباطبا، ص217 - 219)، فأجابها في ذلك فارتفعت منزلتها لدى زوجها الخليفة وازداد حب الرعية لها في الوقت نفسه.

وهكذا نخلص من كل ما تقدم أن للمرأة في المجتمع العباسي أعمالاً سياسية تطوعية متنوعة سعت من خلالها إلى بناء الدولة العباسية ومنع تصدعها في أوقات المحنة والخلاف السياسي، فكانت بمشورتها الراقية ورأيها السديد وقّع كبير في حل المشكلات والسّير تجاه السلم وخدمة الناس والحفاظ على شؤون الدولة.

المبحث الثالث: أعمال المرأة التطوعية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصر العباسي الأول والثاني:

إنّ بعض الأخبار التاريخية التي كانت تقف عند المدينة المنورة، مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تُصّح عن حالة الطبقة الفقيرة ولاسيما الأخبار التي كانت تتعلق بالحج، فالخبر التاريخي حين يعرض لحج السيدة الخيزران عام (173هـ/790م)

يشير إلى أنها خصصت الهبات والأعطيات وقسمت بالمدينة المنورة أموالاً وجوائز سعيًا منها لدفع المستوى المعيشي للفرد في هذه المدينة (ابن الأثير، الكامل، ج6، ص119)، وإنها زوّدت أيتاماً وأهدت الهدايا الكثيرة وأنواع الطيب والعطور للعديد من نساء المدينة (المصدر نفسه)، وقد مثل ذلك عملاً اجتماعياً باهراً سعيًا في رفع المستوى الاقتصادي لهذه المنطقة، سخاءً منها وتطوعاً. ويقف على رأس الأعمال الصحية والاجتماعية الجليلة التي اشتهر بها الخليفة المهدي، ومنها برّه بالفقراء والمحتاجين ومنع ظاهرة التسوّل وإطعام المسجونين والعناية بهم، فضلاً عن عنايته بمرضى الأمراض المُعدية وغير ذلك (المسعودي، ج3، ص255-256) كانت أغلبها بدفع زوجها الخيزران ومشورتها.

ومن مواقف الخيزران المشرفة في الحياة الاجتماعية إقامتها مشربة وماء سبيل على طريق الحج والمدن الأخرى (ابن العبري، تاريخ، 1992م، ص189) تطوعاً لخدمة الحجيج، فضلاً عن أحواض خزن المياه ووضع علامات إرشادية على طول طريق الحج (المسعودي، ج3، ص255).

ويسوقنا الحديث إلى السيدة زبيدة، زوج الخليفة الرشيد، وما بدّر منها من آثار مهمة في الانفاق تطوعاً على أعمال البر والخير وتوزيع الأموال والعطايا من مالها الخاص على الفقراء والمحتاجين ولاسيما عند حجتها سنة (186هـ/802م) ومن أعمال السيدة زبيدة وآثارها الجليلة في الحياة الاقتصادية تطوعاً: بناء الجسور والقناطر، وتمهيد الطرق (Hansen and Curtis)، (p.25) فبنت الخانات (كالفنادق اليوم) والبيمارستانات (كالمستوصفات اليوم) والقصور والقلاع على طول طريق الحجاج المسافرين (ابن تغري بردي، ج2، ص214)، وقد أشار الرحالة ابن جببر إلى إسهاماتها الاجتماعية هذه وخصوصاً في مواسم الحج والتجارة يقول: (لولا آثارها الكريمة في ذلك ما سلكت هذه الطرق والله كفيل بمجازتها والرضا عنها)) (ابن جببر، رحلة، 2003م، ص163). ولا تفوتنا الأعمال التطوعية الاقتصادية والاجتماعية الواجبة على المرأة حين كانت تقف إلى جانب أخيها الرجل في تخفيف أعباء المعيشة (العزايذة، 2004م، ص117) ولاسيما في أعمال الخبازة (ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص340)، والغزل (الطبري، ج8، ص75؛ ابن الجوزي، مناقب، 1977م، ص245؛ الذهبي، تاريخ، ج6، ص383)، وغير ذلك مما تجود به أيديهن من عمل حلال، فمما هو مأثور أن الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ/855م) رحمه الله تعالى، كان يحتجم من ثمن غزل الملابس والفرش التي تقوم بها زوجته (الذهبي، تاريخ، ج6، ص383)، وقد انتشرت مهنة الغزالة، فكانت الحرائر والجواري تخوض مثل هذه المهنة (الأطرقجي، 2002م، ص83).

وقد قويت مهنة التجارة في العصر العباسي الأول وما بعده، وزاولتها المرأة اقتداءً بأم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ أسهمت المرأة العباسية في هذا المجال، إلى جانب الرجل، ومنهن السيدة زبيدة التي عُرفت في ذلك (المزي، تهذيب، 1980م، ج7، ص66؛ الذهبي، سير، ج9، ص30)، وكان ذلك تطوعاً منها؛ للنهضة باقتصاد البلاد والحالة الاجتماعية للمجتمع العباسي.

ويُشهدُ (لزينب بنت الإمام أحمد بن حنبل) تطوعها في الوقوف إلى جانب أبيها عندما قرر الحج، فراحت تعمل في تجارة بيع الدواجن (ابن الجوزي، مناقب، ص307) وشهدت أسواق بغداد العظيمة نشاطاً للمرأة العباسية في بيع الثروة الحيوانية من الجمال والغنم والدواجن وعلفها ومستلزماتها الأخرى (ابن جببر، ص63).

ومن قبيل تطوع المرأة العباسية في الأعمال الاقتصادية للوقوف إلى جانب الرجل في كسب عيشه هو العمل في المهن الاجتماعية المتعلقة بالمرأة وخصوصيات حياتها، ومن ذلك (غسل النساء الموتى) (ابن الجوزي، أخبار الحمقى، 1994م، ص219) وحراسة حمامات النساء وتنظيفها (العزايذة، ص14)، وتوليد النساء (ابن الجوزي، أخبار الحمقى، ص172)، حتى أنهن اشتغلن ماشطات لدى النساء الثريات المترفات (ابن الخطيب البغدادي، ج14، ص436)، ومنهن من عملت مرضعات ولاسيما لأطفال الأغنياء والاهتمام بشؤونهم الصحية (التنوشي، 1978م، ج4، ص359)؛ وشمرت أخريات منهن سواعدهن في الزراعة إلى جانب الرجل، وبالأخص في مواسم الحصاد (ابن عبد ربه، أخبار، ص170؛ الأصفهاني، ج10، ص162؛ الماوردي، 1982م، ص118؛ العلي، ص235).

ونستخلص من ذلك كله إنَّ ما اضطلعت به المرأة العباسية من أعمال تطوعية اقتصادية واجتماعية متنوعة لتعكس تمتعها بالاستقلال الاقتصادي والحرية الاجتماعية الممنوحة لها، زيادة على ما تعكسه بوقوفها إلى جانب الرجل في تحمل شظف العيش، وقساوة الحياة، وتحديات الزمن.

الخاتمة ونتائج البحث

ومن خلال استعراضنا لأعمال المرأة وأثارها الجليلة في الحياة الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في العصر العباسي الأول والثاني تطوعاً، فقد توصلَ هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1- عرف الإنسان تقديم التضحيات ومساعدة الآخرين تطوعاً منه دون أمرٍ أو إيجاب منذ فجر التاريخ، وقد برز ذلك بوضوح عند جميع شعوب العالم وفي مختلف الأديان، وما تضحيات الرسل والأنبياء بالروح والمال والولد إلا شاهد حيٌّ على الإيثار وأعلى القيم الشاهدة لهم على محبة الناس والتي شهدتها الأرض، وقد تجسّد ذلك في مختلف الأجناس البشرية، فكثيرون من قدموا أرواحهم قرباناً وتطوعاً لله تعالى ونشر رسالاته، وخير من مثّل ذلك نبينا الكريم محمد، عليه أفضل الصلاة والسلام، وأصحابه الكرام، رضوان الله تعالى عنهم أجمعين، ويقف في مقدمة ركب التضحيات (المرأة)، فالتطوع للقتال وتشجيع المقاتلين وتقديم مختلف الخدمات اليهم وتضميد جراحهم وتقديم الطعام لهم وما إلى ذلك كان أمثلة باهرة لها للتطوع مع كونها لا تتمتع مثل قابليات الرجل في التحمل والمطولة.

2- أما في مجال العمل فقد ازدهر في ظل قيم الإسلام السامية ومباركته العمل الشريف عموماً والعمل التطوعي منه على وجه الخصوص، إذ وجدنا من زوجات رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، من تقف شاهداً على ذلك، فأم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش، رضي الله عنها، تتصدّق على الفقراء بما تحصل عليه من مهنة دبغ الجلود وغزل الملابس وخياطتها فكان لها الأثر الرفيع عند رسولنا الكريم، عليه أفضل الصلاة والسلام، والأمثلة الأخرى على ذلك كثيرة حتى أصبحت الأعمال التطوعية للمرأة المسلمة في عصر صدر الإسلام وساماً أخلاقياً يتّوجّج جبينها إلى يومنا هذا.

3- وما إن يأتي العصر العباسي حتى ظهر العمل التطوعي، موضوعة بحثنا، في جميع جوانب الحياة، فقد خرجت المرأة في العصر العباسي من العمل من داخل منزلها فقط إلى العمل خارجه أيضاً، ومن ذلك أعمالها التطوعية سعياً لرضا الله سبحانه وتعالى أولاً ومن ثم خدمة مجتمعها وتطوّره، وكان ذلك على وفق اتساع مساحة الحرية الاجتماعية الممنوحة للمرأة إبان العصر العباسي فضلاً عن النقاء هذا المجتمع وتأثره بحضارات الأمم المتنوعة غير العربية، فكان للمرأة في المجتمع العباسي أعمال جليلة تجسدت في العمل الديني والثقافي والعلمي وبأشكال عديدة: منها سعي المرأة نحو التعلّم أولاً، ثم بتّ ما تعلّمت من حكمة وتفسير وحديثٍ وشريعةٍ وغير ذلك من علوم الدين لخدمة الإسلام الحنيف، وقد اتخذ ذلك أشكالاً متنوعة منها المناقشات والمناظرات العلمية ومنها منحها الإجازات العلمية للعلماء والمحدثين والمفكرين من كلا الجنسين، فضلاً عن تنقلاتها بين القرى والأمصار البعيدة لتعليم ما تعلّمته من علوم دينية ودنيوية وتدريسها، ويتصدر ذلك كلّ تدريسيها في المجالس والكتاتيب للناشئة الصغار من البنات والبنين⁰ أما في الميدان الثقافي فقد تبوّأت المرأة العباسية مكانةً مرموقةً عن طريق تطوّعها في الأعمال الثقافية المتنوعة، في رعاية العلم والعلماء والأدباء ونهضة الحياة الفكرية، أو في حثّ الخلفاء والوزراء والأمراء وغيرهم من المهتمين بالفكر على رعاية الحركة العلمية والأدبية، وهي لا تنسى مطلقاً إشرافها ورعايتها لبيتها وأسرته.

4- وقد كان للمرأة العباسية أعمال سياسية وإدارية تطوعية متنوعة سعت من خلالها إلى بناء الدولة العباسية عموماً، وفي منع تصدّعها في أوقات المحنة والخلاف السياسي على وجه الخصوص، فكانت بمشورتها السديدة، وبصيرتها النافذة، ورأيها الموقف وقع كبير في حلّ المشكلات والسّير تجاه السلم، وخدمة الرعية، والحفاظ على شؤون الدولة.

5- وما اضطلعت المرأة العباسية بأعمال تطوعية اقتصادية واجتماعية متنوعة لتعكس تمتعها بالاستقلال الاقتصادي والحرية الاجتماعية الممنوحة لها، مع مراعاة الحفاظ على حجابها وعفافها، زيادة على ما تعكسه بوقوفها إلى جانب الرجل في تحمّل شظف العيش وقساوة الحياة وتحديات الزمن.

6- إنّ على الثقافة العربية المعاصرة أن تتخذ من هذه النماذج المشرفة دروساً يطلّع عليها شباب هذه الأمة من ناشئة النسوة كي تتعمق روح التضحية والإيثار، وتزداد المرأة قوةً وصلابةً في بناء الجيل القادم، ونحن بحاجة إلى هذه الشواهد العظيمة في مناهج ما نقرّر وما يصدر من كتبٍ ودورياتٍ فضلاً عن وسائل الإعلام المتنوعة ولا سيّما القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، فجيلنا الحالي لا يتعرف على تاريخنا وحضارتنا إلا من خلالها.

من كلّ هذا نصل إلى حقيقة تطوّع المرأة العباسية في الأعمال المتنوعة وقدرتها على الإسهام في تطوّر المجتمع والتضحية في سبيله، وكيف لا؟ وهي نصف المجتمع، وهي من أنجبت العلماء ورجال الدولة والعامة من الناس، ولهذا يشكل هذا الدرس دافعاً للمرأة في عصرنا الحاضر كي تستشرق ماضي الأجيال التليد وتتخذة قدوةً للقادمين، إنها بحق شمسٌ مضيئة.

المصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر الأولية:

القرآن الكريم.

- الابشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح (ت: 850هـ/1446م)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قمحية، ط2، دار الكتب العلمية (بيروت، 1406هـ/1986م).
- الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين (ت: 421هـ/1030م)، نثر الدرر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت، 1424هـ/2004م).
- الأثليدي، محمد المعروف بدياب الأثليدي (ت: 1100هـ/1689م)، إعلام الناس بما وقع للبرامكة من بني العباس، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز سالم، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت، 1425هـ/2004م).
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الجزري (ت: 630هـ/1233م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، ط1، دار أحياء التراث العربي، (بيروت، 1417هـ/1996م).
- الكامل في تاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط2، دار الكتب العلمية (بيروت، 1415هـ/1994م).
- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت: 151هـ/769م)، سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف (بيروت، د.ت).
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت: 356هـ/967م)، أخبار النساء في كتاب الأغاني، جمع وشرح: عبد الأمير مهنا، ط5، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت، د.ت).
- الأغاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت، د.ت).
- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت: 279هـ/1992م)، أنساب الأشراف، تحقيق: زهير زكار، ط1، دار الفكر، (بيروت، 1417هـ/1996م).
- البخري، أبو زيد أحمد بن سهل (ت: 322هـ/934م)، البدء والتاريخ، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت، 1417هـ/1997م).
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت: 874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت).
- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي بن القاسم البصري (ت: 384هـ/994م)، الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1398هـ/1978م).
- التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت: 360هـ/972م)، البصائر والذخائر، تحقيق: داود القاضي، دار صادر (بيروت، 1419هـ/1999م).
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (ت: 255هـ/869م)، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية (بيروت، 1372هـ/1972م).
- المحاسن والاضداد، ط2، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1415هـ/1994م).
- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنايني الأندلسي (ت: 614هـ/1218م)، رحلة ابن جبير (الرحلة المسماة تذكرة الحفاظ عن اتفاقات الأسرار)، دار الكتب العلمية (بيروت، 1423هـ/2003م).
- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت: 331هـ/942م)، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (القاهرة، 1357هـ/1938م).
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ/1201م)، أحكام النساء، الدار النمشقية للطبع (دمشق، 1424هـ/2003م).
- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، دار الافاق الجديدة (بيروت، 1397هـ/1977م).
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1، دار صادر، (بيروت، 1358هـ/1939م).
- الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق: عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت، 1408هـ/1988م).
- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد (ت: 837هـ/1434م)، ثمرات الأوراق، صححه وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1391هـ/1971م).
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل (ت: 825هـ/1448م)، الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة، 1358هـ/1939م).
- تلخيص الحبير في أحاديث الرافي الكبير، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة للنشر، (السعودية، المدينة المنورة، 1384هـ/1964م).

- تهذيب التهذيب، ط1، دار الفكر (بيروت، 1404هـ/1984م)
- لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، ط3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، 1406هـ/1986م).
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ/855م)، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة للنشر (مصر، القاهرة، د.ت).
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن أبو بكر (ت: 463هـ/1071م)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت)
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: 282هـ/896م)، الأخبار الطوال، تحقيق: حسن الزين، دار الفكر الحديث (بيروت، 1408هـ/1988م).
- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: 748هـ/1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي (بيروت، 1407هـ/1987م)
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط9، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1413هـ/1909م).
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، أبو عبد الله البصري (ت: 230هـ/845م)، الطبقات الكبرى، دار صادر للنشر، (بيروت، د.ت).
- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: 562هـ/1166م)، الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الفكر (بيروت، 1419هـ/1998م).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر (القاهرة، 1395هـ/1975م).
- الدر المنثور، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للدراسات العربية الإسلامية (بيروت، 1424هـ/2003م).
- الشيباني، أحمد بن عمرو بن الضحاك، أبو بكر (ت: 287هـ/901م)، 36- الأحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط1، دار الراية (السعودية، الرياض، 1412هـ/1991م).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1421هـ/2000م).
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت: 335هـ/947م)، 38- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، (دمشق، د.م، د.ت).
- ابن طباطبا، محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي (ت: 709هـ/1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر (بيروت، د.ت).
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: 360هـ/971م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة الزهراء، (العراق، الموصل، 1403هـ/1983م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت: 310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، دار الفكر للطباعة (بيروت، 1405هـ/1984م).
- ابن الطبيب البصري، أبو الحسن محمد بن علي بن الطبيب البصري (ت: 436/1044م)،
- المعتمد في أصول الفقه، تحقيق: خليل الميس، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت، 1403هـ/1983م).
- ابن عبد البر، أبو عمر بن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت: 463هـ/1070م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الجاوي، مكتبة ومطبعة نهضة مصر (القاهرة، د.ت)
- التهذيب لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، مطابع وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب، الرباط، 1387هـ/1967م).
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ/940م)، العقد الفريد، ط3، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1420هـ/1999م).
- كتاب أخبار النساء في العقد الفريد، جمع وشرح: عبد مهنا وسمير جابر، دار الكتب العلمية (بيروت، 1410هـ/1990م).
- ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون المملطي (ت: 897هـ/1492م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: نطوان صالحاني اليسوعي، ط3، دار الشروق (بيروت، 1412هـ/1992)
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت: 571هـ/1176م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر العمري، دار الفكر، (بيروت، 1416هـ/1995م) 0
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت: 1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمد الأرنؤوط، دار ابن كثير للنشر (دمشق: 1409هـ/1988م).
- العمري، ياسين بن خير الله الخطيب (ت: 1232هـ/1816م)، الروضة الفحاء في تواريخ النساء، تحقيق: حسام رياض عبد الحكيم، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت، 1420هـ/2000م).
- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس (ت: 684هـ/1285م)، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب للطباعة (بيروت،

- 1414هـ/1994م).
 ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (276هـ/889م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب (القاهرة، 1379هـ/1960م).
 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملح وأخرون، ط3، دار الكتب العلمية (بيروت، 1407هـ/1987م).
 ابن ماجه، محمد بن يزيد، أبو عبد الله القزويني (ت: 275هـ/889م)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للنشر، (بيروت، د.ت).
 الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب (ت: 450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية (بيروت، 1402هـ/1982م).
 المزني، يوسف بن الزكي، عبد الرحمن أبو الحجاج (ت: 742هـ/1341م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1400هـ/1980م).
 المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي البغدادي (ت: 346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، دار الانوار للطباعة والنشر، (بيروت، 1430هـ/2009م).
 مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري (ت: 261هـ/875م)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - د.ت).
 المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري (ت: 375هـ/985م). أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، دار الكتب العلمية (بيروت، 1424هـ/1114م).
 ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الافريقي (ت: 711/1312م)، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس ورياض عبد الأمير ومحمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر (دمشق، 1404هـ/1984م).
 لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، راجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1426هـ/2005م).
 النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 733هـ/1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت، 1424هـ/2004م).
 النيسابوري، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله الحاكم (ت: 405هـ/1015م)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت، 1411هـ/1990م).
 الواسطي، أسلم بن سهل الرزاز (ت: 292هـ/905م)، تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، ط1، عالم الكتب للطباعة، (بيروت، 1406هـ/1986م).
 الياضي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: 768هـ/1367م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة، 1413هـ/1993م).
 اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي (ت: 292هـ/905م)، تاريخ اليعقوبي، المكتبة الحيدرية للنشر (بغداد، 1425هـ/2004م).

ثانياً: قائمة المراجع الثانوية:

- الأطرجي، واجدة مجيد عبد الله، آداب المرأة في العصر العباسي، ط1، مطبعة مركز زايد للتراث والتاريخ (دولة الإمارات العربية المتحدة، العين، 1422هـ/2002م).
 البدوي، خليل، موسوعة شهيرات النساء، ط1، دار أسامة للنشر (عمان، 1418هـ/1998م).
 الجبوري، سليمان إبراهيم، كشاف التقويمين في التواريخ الهجرية والميلادية، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، 1423هـ/2002م).
 جمعة، أحمد خليل، نساء من التاريخ، ط1، اليمامة للطباعة والنشر (دمشق، 1418هـ/1997م).
 الجومرد، عبد الجبار (الدكتور)، هارون الرشيد (دراسة تاريخية اجتماعية سياسية)، المكتبة العمومية (بيروت، 1376هـ/1956م).
 حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول، ط4، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1406هـ/1985م).
 الخضري بك، الشيخ محمد، الدولة العباسية (محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية)، قرأه وراجع: محمد ضناوي، ط2، دار الكتب العلمية (بيروت، 1424هـ/2004م).
 خليل، عادل إسماعيل 0 وطه، سارة عبد الحسين، أثر نساء البيت العباسي في صنع القرار السياسي (132 - 447هـ/749 - 1055م)، مطبعة جامعة البصرة (العراق، البصرة، مجلة جامعة البصرة، صفر، 1436هـ/2014م).
 الزركلي، خير الدين، الأعلام (قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ط15، دار العلم للملايين (بيروت، 1423هـ/2002م).

- سالم، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة (مصر، الاسكندرية، د.ت.).
 سويد، أحمد، نساء شهيرات من تاريخنا، ط2، مؤسسة المعارف للنشر (بيروت، 1410هـ/1990م).
 شاكر، محمود، أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن)، ط1، المكتبة الاسلامية (بيروت، 1425هـ/2004م).
 الشكعة، مصطفى، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط1، دار العلم للملايين (بيروت، 1393هـ/1973م).
 الشمري، هزاع بن عيد، جمهرة أسماء النساء واعلامهن، دار أمية للنشر والتوزيع، ط1، (دمشق، 1410هـ/1990م).
 الصلابي، علي محمد، الدولة الأموية، ط1، مؤسسة اقرأ (السعودية، المدينة المنورة، 1426هـ/2005م).
 عاشور، سعيد عبد الفتاح. وعبد الحميد، سعد زغلول وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية والعربية، دار المعرفة الجامعية (مصر، الاسكندرية، 1415هـ/1995م).
 عبد الحميد، محيي الدين، نساء صالحات من التاريخ الاسلامي، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت، 1430هـ/2009م).
 عطوان، حسين، الدعوة العباسية (تاريخ وتطور)، دار الجيل للطباعة (بيروت، 1404هـ/1984م).
 عففي، عبد الله، المرأة العربية في جاهليتها واسلامها، ط1، مكتبة الثقافة (السعودية، المدينة المنورة، 1348هـ/1930م).
 العكدي، علي، نساء الأنبياء، (دراسة تاريخية في الجانب الاجتماعي لسيدات البيوت النبوية)، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 1432هـ/2011م).
 العلي، صالح أحمد، المنسوجات والألبسة العربية في العهود الاسلامية الأولى، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر (بيروت، 1424هـ/2003م).
 فرحات، أحمد حسن. والحلي، أحمد محمد وآخرون، الفكر الاسلامي، ط3، مطبوعات جامعة الامارات العربية المتحدة (دولة الامارات العربية المتحدة، العين، 1424هـ/2003م).
 فيض الله حسن، سولاف، دُور الجوّاري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، ط1، دار صفحات للنشر (دمشق، 1434هـ/2013م).
 كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ط2، المطبعة الهاشمية (دمشق، 1378هـ/1959م) 0
 الكيالي، عبد الوهاب، 25- الموسوعة السياسية، دار صادر، (بيروت، د. م، د.ت.).

ثالثاً: قائمة الكتب الأجنبية:

- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط6، مطبعة السروجي (فلسطين، عكا، 1394هـ/1974م).
 أجاييف، أحمد، حقوق المرأة في الإسلام، ترجمة سليم قبعين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (بيروت، د.ت.).

Hansen, V., Curtis, K, Vayages in world, Ch, 9, p.25.

Sodiq, Yushau. Insiders guide to Islam, Tofford on Demand publishing.(Boomington. Ind. 2011).

The Works of Volunteering woman during the 1st and 2nd Abbassinyan Periods (132-334 Hijri/ 749-946 A.C)

*Maha Al-Rawi **

ABSTRACT

This research aims to discuss the phenomenon of variety which means that it's essential for the person to donate from his own conviction without any obligatory conditions in order to perform the humanism, and this research discovers the calling, cultural, scientific, political, social and economic sides which had been established by the woman during the first and second Abassynian reign the women had a great degree in it, that she added to her family work other voluntary work outside her home for free or for a small amount of money that was because the wide area granted to women to work outside her home as well as the meeting of the Abbasid community with other non-Arab societies and civilizations that encourage the work of women, so that great authorities had appeared in accordance with this case and contributed with her brother (the man) in overcoming physical difficulties or economic problems and in making the effective basic for stability, prosperity and establishment of the first Islamic Arab civilization.

Keywords: Volunteer, Voluntary work.

* Department of History, Iraqi University, Iraq. Received on 17/4/2019 and Accepted for Publication on 24/12/2019.